(سورة الممتحنة)

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ }

{ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِٱلسُّوءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ }

عدوّ الله هو الذي خالف عهده وأعرض بقلبه عن جنابه، فبالضرورة يكون مشركاً بمحبة الغير وعدواً لكل موحد ينفي الغير لكون كل منهما في عدوة حينئذ ولهذا قال: { عدوّي وعدوّكم }.

وأشار إلى كون الموالاة بينهما عرضياً لا ذاتياً بقوله: { تلقون إليهم بالمودّة } ثم بين امتناع كونه ذاتياً ببيان المنافاة الذاتية بينهما وعدم المناسبة والجنسية من جميع الوجوه بقوله: { وقد كفروا } إلى آخره، ثم أشار إلى أن وقوعها لا يكون إلا عند الجنسية وحدوث الميل إلى الشرك، فإن وقعت فلا بد منهما بقوله: { ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل } أي: طريق الوحدة.

{ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤُاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ }

{ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ }

ثم أشار إلى أن العرضية لا يجوز أن يختارها أهل التحقيق لأن السبب الموجب لها أمور فانية لا يبقى نفعها إلا في الدنيا والعاقل يجب أن يختار الأمور الباقية دون الفانية بقوله: { لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم } أي: لا نفع لمن اخترتم موالاة العدوّ الحقيقي لأجله لأن القيامة الصغرى مفرّقة بينكم تفريقاً أبدياً لعدم الاتصال الحقيقي الباقي بعد الموت بينكم، وهذا معنى قوله: { يوم القيامة يفصل بينكم } أي: يفصل الله بينكم وبين أرحامكم وأولادكم، كما قال:

{ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ }

[عبس، الآيات:٣٤ - ٣٦]. ثم علّمهم طريق التوحيد بالتأسي بالموحد الحقيقي السابق إبراهيم النبي عليه السلام وأصحابه { لأستغفرنّ لك } أي: لأطلبن لك الغفران بمحو صفاتك وسيئات أعمالك بالنور الإلهي { وما أملك } إلا الطلب. وأما وجود ذلك فأمر متعلق بمشيئة الله وعنايته كما قال:

{ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ }[القصص، الآية:٥٦].

{ ربّنا عليك توكلنا } بالخروج عن أفعالنا بشهود أفعالك { وإليك أنبنا } بمحو صفاتنا بمطالعة صفاتك { وإليك المصير } بفناء ذواتنا ووجوداتنا في ذاتك وهو التوحيد التام. { ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا } أي: إنّا لا نخافهم ولا نرى لهم تأثيراً ولا وجوداً ولكنا نعوذ بعفوك من عقابك حتى لا تعاقبنا بهم ولا تبلينا بأيديهم بسبب ما فرط منا من السيئات والظهور بالصفات { واغفر لنا } ذنوب تفريطاتنا بالعفو لا بالعقوبة { إنك أنت العزيز } القويّ على عقابنا بهم وعلى دفعهم عنا وقمعهم وقهرهم { الحكيم } لا يفعل أحد الأمرين ولا يختاره إلا بمقتضى الحكمة ثم كرر وجوب التأسي بإبراهيم وأصحابه وأثبته لمن كان في بداية التوحيد في مقام الرجاء وتوقع الكمال.

{ عَسَى ٱللَّـهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً
وَٱللَّـهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
{ لاَّ يَنْهَاكُـمُ ٱللَّـهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَـمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن
دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِـطِينَ }
{ إِنَّمَـا يَنْهَاكُـمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُـم مِّـن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ }
{ يٰأَيُّهَـا ٱلَّذِيـنَ آمَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُـنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَـإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ
تَرْجِعُوهُـنَّ إِلَى ٱلْكُفَّـارِ لاَ هُنَّ حِـلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّآ
أَنفَقُـواْ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُـمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلاَ تُمْسِـكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَاسْـأَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُواْ
مَـآ أَنفَقُـواْ ذَلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُـمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }
{ وَإِن فَاتَكُـمْ شَيْءٌ مِّـنْ أَزْوَاجِكُـمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُواْ ٱلَّذِينَ
ذَهَبَـتْ أَزْوَاجُهُـمْ مِّثْلَ مَآ أَنفَقُـواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ }
{ يٰأَيُّهَـا ٱلنَّبِـيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ
شَـيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ
يَفْتَرِينَـهُ بَيْنَ أَيْدِيهِـنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ
فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْـتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
{ يٰأَيُّهَـا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَوَلَّـوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُـواْ مِنَ ٱلآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ }

{ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة } برفع موجب

العداوة الذي هو الكفر، إذ الاحتجاب ليس أمراً فطرياً بل الإيمان بمقتضى الفطرة الأصلية والتحاب وإنما حدث الكفر عند الاحتجاب بالنشأة والانغمار في الغواشي الطبيعية.

{ والله } قادر على رفعها، وإذا ارتفعت ظهرت المودّة الحقيقية بنور الوحدة الذاتية ومقتضى الأخوة الإيمانية { والله غفور } يستر تلك الهيئات المظلمة الحاجبة بنور صفاته { رحيم } يرحم أهل النقصان فيجبره بإفاضة كمالاته { إنّ الله يحبّ المقسطين } لأن العدالة هي ظل المحبة والمحبة ظل الوحدة فما ظهرت العدالة في مظهر إلا وقد تعلقت محبة الله به أولاً إذ لا ظلّ بغير الذات والله تعالى أعلم.

obeikandl.com